الوثيقة

العدد الأول - السنة الأولى - رمضان ١٤٠٢ هـ يوليو ١٩٨٢ م

يصدرها
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين

صورة الصفحة الأولى من الوثيقة العثمانية الى مراد شاه مع ترجمة الوثيقة
استنبول ـ بازباكانليل ارشيفى (الأرشيف الرسمى)
دفاتر الشئون العامة ، المجلد ٣ ـ ص ١٣٩

امر سلطانى الى مراد شاه حاكم البحرين :

انك ارسلت اشخاصا مرات عديدة الى بلاطنا السامى وعرضت علينا طاعتك لنا ومنحنا لك شهادة اثباتا باننا اعطيناك البحرين كولاية واخطرنا بذلك جميع المحافظين المجاورين وسمعنا الآن بان مصطفى باشا ، محافظ الاحساء قام بغزو البحرين دون اذن منا وانك اتخذت بعض الاجراءات ضده وكذلك حجز البرتغاليون بعض السفن العثمانية وقد طردنا مصطفى باشا من منصبه بسبب هذه الاعتداءات وعينا محافظا جديدا يحل محله . وعليك ان ترد الجنود الى المحافظ فى الاراضى العثمانية ونعاقبهم بما يستحقونه وهكذا يكون محافظونا وموظفونا فى الاحساء (والاقاليم الاخرى) مجمعين على تنفيذ ارادتنا حتى لا يتمكن العدو (البرتغاليون) من الحاق اضرار بتلك الاقاليم .

(٢٨ ذى الحجة ٩٦٦ هـ)

باسطنبول وجاء فى الرسالة ان البحرين بها اكثر من ثلاثمائة قرية وان ربحها السنوى سيكون أربعين الف فلورى وان من السهولة فتحها ويسأل الصدر الاعظم كيف يمكن فتح البحرين ومتى وكم العدة اللازمة لفتحها ثم يطلب تقصى الأخبار عن عساكر البحرين ومحصولها .

والذى يلفت النظر فى هذه الوثيقة هو نظرة أمير أمراء الاحساء للبحرين مما يشير الى طمعه فى فتحها فاذا ربطنا هذه الرسالة بحمله مصطفى باشا السابقة فقد نخرج بما يدل على اتجاه عثمانى قديم فى ضم البحرين لاملاك الامبراطورية العثمانية وخرجنا أيضا بما يدل على أن مصطفى باشا عندما هاجم البحرين لم يكف ذلك دون علم السلطان وان تنصل من ذلك فيما بعد على أى الأحوال فان الوثائق فى هذه الفترة غامضة ولايعطى ماتم العثور عليه منها صورة كاملة لتفاصيل ماحدث .

ولكن بعد ١٠١١ هـ/ ١٦٠٢ م بدأ الضعف يدب فى دولة البرتغال فاحتلتها اسبانيا وانقرض جيل المغامرين الكبار وبدأت قوى بحرية تظهر فى الخليج هى قوة اليعاربة العمانيين وتوترت العلاقة بين الشاه عباس الصفوى والبرتغاليين حتى انه جهز جيشا للهجوم على بندر عباس . وبدأ الوجود الانجليزى يبرز فى مياه الخليج . ويذكر ابو البحر فى ديوانه أن وفدا سافر من البحرين لمقابلة الشاه عباس الصفوى وطلبوا منه المساعدة فى تخليصهم من البرتغاليين وقام اهل البحرين بالفعل بمحاصرة القلعة ثم احتلالها وقبضوا على جنود الحامية البرتغالية واستنجدوا بأمير شيراز الذى سارع لمساعدتهم .. وحاول البرتغاليون بعد ذلك استعادة البحرين الا أن محاولتهم باءت بالفشل وكانت هذه المحاولة هى اخر أحلامهم فى البحرين أما طردهم نهائيا من الخليج فقد احتاج عددا من السنين وصلت الى سنة ١٦٢٢ م/ ١٠٣٢ هـ وهذا ما سنعرض له في اعداد قادمة .

لاوزيران طبع ١٩٦٣ ـ وترجمة حسين الداقوقى لتقرير الحملة العثمانية على البحرين اعداد او رهنلى ص ٢١١ و ٢١٧ من مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد ٢٤ الكويت ـ والاتراك العثمانيون والبرتغاليون فى الخليج العربى ص ٥٣ الى ٥٥

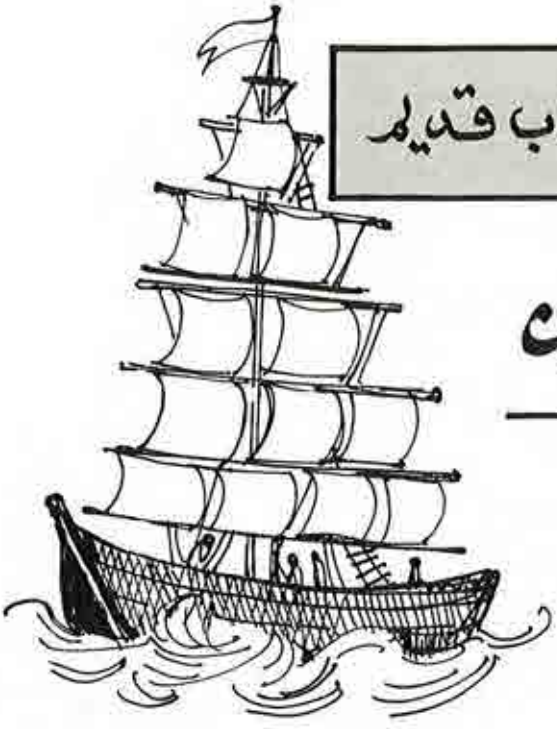

صفحات من كتاب قديم

وصف شاهد عيان

يرجع لعام ١٥٩٨م

كتاب الرحلات القدماء لهم اسلوبهم الخاص فى الكتابة وفى التعبير . والقراءة فى كتب الرحلات القديمة شائقة ومسلية ومفيدة . من بين هذه الكتب نقدم هذه الصفحات من كتاب (أسفار جون هيوجن فان لنشوتن) الى جزر الهند الشرقية) وقد قدمنا تعريفا بالكاتب على الصفحات السابقة أما الصفحات التى نقدمها فقد حرصنا على ان تكون الترجمة حرفية وهى عن رحلاته عام ١٥٩٨ م والكتاب فى مجلدين اعد المجلد الأول آرثر كوك برتيل وأعد المجلد الثانى بى ـ ايه ـ تيلى . وقد طبعت الكتاب جمعية هكليوت فى لندن عام ١٨٨٥ م والكتاب وضع أصلا بالبرتغالية وقد نقلنا هذه الصفحات عن ترجمة انجليزية قديمة . وقد لا يكون معظم ما ذكره الكاتب دقيقا أو صحيحا وقد يكون معظم ما كتبه مدموغاً بالتعصب ضد العرب والاسلام ولكن هكذا كتب وهكذا أردنا لأجيالنا الحالية ان ترى كيف كان البعض يكتبون .

قال المؤلف :

يتوفر اللؤلؤ فى كافة البلدان الشرقية وخاصة بين هرمز والبصرة فى الخليج فى كل من البحرين والقطيف وجلفار وكامارون وهناك جماعة تابعة لملك البرتغال موجودة فى البحرين بصورة مستمرة لتقوم بصيد اللؤلؤ كما توجد اماكن اخرى لهذا الغرض مثل البحر الواقع بين جزيرة سيلان وراس كومورن حيث تنتج كمية ضخمة من اللؤلؤ ويتواجد هناك ايضا ممثل لملك البرتغال وهو قبطان ومعه عدد من الجنود . ويكثر اللؤلؤ كيفا وكما فى هرمز .

وقد ابحرت سفينتان برتغاليتان فى مايو ١٥٨٦ م مع مالكيهما من الهند الى البحر الاحمر لكنهما تعرضتا لهجوم من لصوص البحر الاتراك فى السويس مما اخاف التجار الهنود الذين بعثوا ببضائع على متن هاتين السفينتين وفى نفس الشهر اعد البرتغاليون اسطولا كبيرا فى جوا بقصد ارساله الى البحر الاحمر لطرد القراصنة الاتراك وعندما وصل الاسطول الى مدخل البحر الاحمر نشب قتال بينه وبين الاتراك انتصر فيه الاتراك ورجع الاسطول الى هرمز وعين بدرو بيريرا PED-RO PEREIRA قائدا جديدا للاسطول وغادر الاسطول مرة اخرى الى ساحل جزيرة العرب بقصد تاديب القراصنة من قبيلة بنى خالد (١) الذين سببوا خسائر فادحة لسفن وتجارة البصرة وعلم بأنهم تجمعوا فى مكان باسم نيكولا (نخيلة ؟) ونزل البرتغاليون فى نيكولا دون نظام او انضباط وفى المعارك التى دارت بينهم وبين القراصنة انتصر القراصنة وقتل عدد كبير من البرتغاليين ولم ينج الا ٥٠ منهم وبلغ عدد القتلى ٨٠٠ ورجع قائد الاسطول مرة اخرى الى هرمز بسفن فارغة وشعر البرتغاليون بخزى بالغ بانهزامهم المذل حيث قتل فى المعركة رجال بارزون من البرتغال بما فيهم اخ لرئيس الاساقفة وكبار عمدة المدن البرتغالية ووصلت ملكة هرمز الى جوا وهى مسلمة واباؤها واجدادها كانوا تابعين للبرتغال . وقد قبلت المسيحية واختارت اسما جديدا هو دونا فيليبا على طراز ملك اسبانيا كما تبعها اخوها الاصغر وقد اقيم احتفال شامخ بهذه المناسبة وهى ملكة جميلة بيضاء طويلة القامة ووسيمة الوجه ثم غادرت الى اسبانيا لتقدم نفسها الى الملك وقد تزوجت زعيما برتغاليا اسمه انطون دازيدو كوتينو وعقب الزواج منحه الملك رئاسة هرمز بماهية بلغ قدرها أكثر من ٢٠٠٠٠٠ دوكيت سنويا . وغادر انطوان جوا الى هرمز بقصد جمع الضرائب وفى نفس اليوم توفيت الملكة التى لم تتمكن من تحمل فراق زوجها وهكذا لقيت حتفها ولم تمض بعد ستة شهور على زواجها .

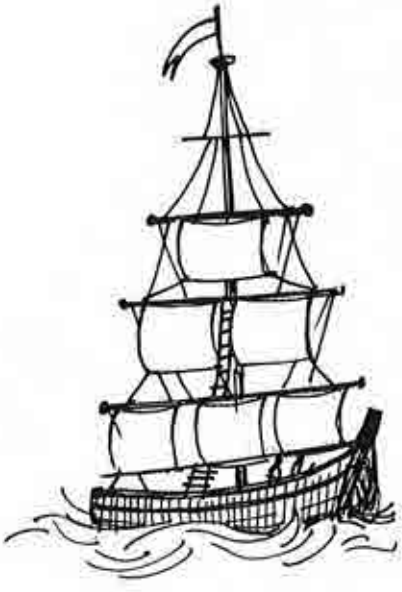

(١) يلاحظ ان المؤلف يطلق على القوى البحرية المحلية لفظ القراصنة وفاته انهم يدافعون عن بلادهم ومياههم وان القراصنة هم الذين جاءوا من شمال اوروبا الى مناطق ليست لهم .

ان عدن من اجمل واقوى المدن فى جنوب الجزيرة العربية وهى محاطة بواد من جهة وجدران متينة وجبال من جهة اخرى وفيها ٥ قلاع وبها مخزون من الذخائر ويحرسها الجنود وتستمد المدينة اهميتها بسبب السفن العديدة التى تمر بها وتحتوى المدينة على ٦٠٠٠ منزل حيث يمارس فيها الهنود والفرس والاثيوبيون والاتراك اعمالهم وبسبب شدة حرارة الشمس بالنهار تتم الصفقات التجارية ليلا ويسكن محافظ المدينة فى قصر بنى من الحجر وفيما مضى كانت عدن جزءا من الارض الرئيسية ولكن الآن جعلها الناس جزيرة بذاتها .

تقع عدن فى مدخل البحر الاحمر ولها صلات تجارية مع الهند وتشتمل التجارة على الخيول والبهارات والأخشاب والفواكه وتقع جزيرة البحرين على بعد حوالى ٨٠ ميلا من راس مسندم وتشتهر البحرين بصيد اللآلى وفى شمالها تقع ميناء البصرة على بعد ٦٠ ميلا حيث يلتقى نهرا الفرات ودجلة وتوجد بقربها آثار بابل الشهيرة ويقال بانها كانت الفردوس فى زمن قديم .

الفصل ٦

وتقع هرمس فى جزيرة الجرها وكانت تدعى فى الماضى عقيرس وتخضع الآن للحكم البرتغالى وينتمى سكانها الى الدين الاسلامى وطبقا للتقاليد المتبعة هنا يعمى الملك افراد اسرته من الذكور خوفا على عرشه وتتم هذه العملية عن طريق تسخين اناء من نحاس اصفر الى درجة عالية من الحرارة وتقريبه الى العيون حتى يفقد الانسان بصره .

وتنقص الجزيرة (هرمز) الخضرة والماء العذب وتكثر فيها الصخور ولا تتجاوز مساحتها ٣ اميال وتعتمد اساسا على الواردات من الجزيرة العربية وايران والهند لانها تقع فى ملتقى الطرق التجارية وتبنى البيوت فيها من الحجر وتخزن فيها العطور والبهارات كما توجد فيها خيول من سلالات نادرة وتستورد الهند منها التمور والحلويات والنقود الفضية .

وهناك تنسيق كامل بين الرحلات البحرية والقوافل البرية ويرجع الفضل الى هذا التنسيق فى ازدهار التجارة ، وتأتى القوافل مرتين سنويا عبر البر من حلب وطرابلس فى سوريا فى شهرى ابريل وسبتمبر حتى البصرة ومن هناك تواصل السفر الى هرمز عن طريق البحر ، ويعد التجار البضائع وينقلونها على الجمال والخيول والبغال فى قوافل ومعهم جنود لحمايتهم من قطاع الطرق وهكذا تتكون القوافل من ٥٠٠٠ أو ٦٠٠٠ نسمة على الأقل وتأخذ حوالى ٤٠ يوما للسفر وتجمع الماء للشرب من الآبار التى تقع فى الطريق على مراحل بين كل منها والاخرى ٣ أو ٤ أيام ويبيع التجار البضائع والحيوانات التى تحملها . وتستخدم القوافل الاكياس الجلدية لنقل الماء .

وتمكث القوافل فى طريقها فى الغابات حيث يعيش العرب الفقراء فى ظروف قاسية وليس لديهم الا ما يملكون من الابل والجمال ويأكلون من لحمها ويشربون من لبنها .

ويصحب هذه القوافل بعض التجار الصغار الذين يحملون معهم اشياء متفرقة كالعسل والتمور والغنم والدواجن الى البصرة والمدن الاخرى كبابل (تسمى الآن بغداد) ويسهر التجار فى مخيماتهم خوفا من نهب اموالهم وعند العودة يتجمعون بالقرب من البصرة ويرجعون الى حلب ومعهم بضائع مختلفة متنوعة وينتمى هؤلاء التجار الى شعوب شتى ما عدا البرتغاليين والاسبانيين ومنهم الفرنسيون والانجليز